

تفسير البحر المحيط

@ 189 @ حذف مضاف ، أي وذو الريحان حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ؛ وحمزة والكسائي والأصمعي ، عن أبي عمرو : والريحان بالجر ، والمعنى : والحب ذو العصف الذي هو علف البهائم ، والريحان الذي هو مطعم الناس ، ويبعد دخول المشموم في قراءة الجر ، وريحان من ذوات الواو . وأجاز أبو علي أن يكون اسماً ، ووضع موضع المصدر ، وأن يكون مصدراً على وزن فعلان كاللبان . وأبدلت الواو ياء ، كما أبدلوا الياء واواً في أشاوى ، أو مصدراً شاذاً في المعتل ، كما شذ كبنونة وبينونة ، فأصله ريوحان ، قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء فصار ريحان ، ثم حذفت عين الكلمة ، كما قالوا : ميت وهين . . . ولما عدد تعالى نعمه ، خاطب الثقليين بقوله : { فَبَيَّأَىٰ ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } ، أي أن نعمه كثيرة لا تحصى ، فبأيها تكذبان ؟ أي من هذه نعمه لا يمكن أن يكذب بها . وكان هذا الخطاب للثقليين ، لأنهما داخلان في الأنعام على أصح الأقوال . ولقوله : { خُلِقَ الْإِنْسَانُ } ، و { خُلِقَ * الْجَانُّ } ؛ ولقوله : { سَنَذْفُرُّهُ لَكُمْ أَيْهَةً } ، وقد أبعد من جعله خطاباً للذكر والأنثى من بني آدم . وأبعد من هذا قول من قال : إنه خطاب على حد قوله : { أَلْقَيْنَا فِي جَهَنَّمَ } ، ويا حרسيّ اضربا عنقه ، يعني أنه خطاب للواحد بصورة الاثنين ، فبأي منونا في جميع السورة ، كأنه حذف منه المضاف إليه وأبدل منه { رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } بدل معرفة من نكرة ، وآلاء تقدم في الأعراف أنها النعم ، واحدها إلى وألا وإلى وألى . . . { خُلِقَ الْإِنْسَانُ } : لما ذكر العالم الأكبر من السماء والأرض وما أوجد فيها من النعم ، ذكر مبدأ من خلقت له هذه النعم ، والإنسان هو آدم ، وهو قول الجمهور . وقيل : للجنس ، وساغ ذلك لأن أباهم مخلوق من الصلصال . وإذا أريد بالإنسان آدم ، فقد جاءت غايات له مختلفة ، وذلك بتنقل أصله ؛ فكان أولاً تراباً ، ثم طيناً ، ثم حمأ مسنوناً ، ثم صلصالاً ، فناسب أن ينسب خلقه لكل واحد منها . والجان هو أبو الجن ، وهو إبليس ، قاله الحسن . وقال مجاهد : هو أبو الجن ، وليس بإبليس . وقيل : الجان اسم جنس ، والمارج : ما اختلط من أصفر وأحمر وأخضر ، أو اللهب ، أو الخالص ، أو الحمرة في طرف النار ، أو المختلط بسواد ، أو المضطرب بلا دخان ، أقوال ، ومن الأولى لابتداء الغاية ، والثانية في { مِّنْ نَّارٍ } للتبعيض . وقيل للبيان والتكرار في هذه الفواصل : للتأكيد والتنبيه والتحريك ، وهي موجودة في مواضع من القرآن . وذهب قوم منهم ابن قتيبة إلى أن هذا التكرار إنما هو لاختلاف النعم ، فكرر التوقيف في كل واحد منها . . .

وقرأ الجمهور : { رَبَّ } ، و { رَّبَّ } بالرفع ، أي هو رب ؛ وأبو حيوة وابن أبي عبلة :
بالخفض بدلاً من ربكما ، وثنى المضاف إليه لأنهما مشرقا الصيف والشتاء ومغرباهما ، قاله
مجاهد . وقيل : مشرقا الشمس والقمر ومغرباهما . وعن ابن عباس : للشمس مشرق في الصيف
مصعد ، ومشرق في الشتاء منحدِر ، تنتقل فيهما مصعدة ومنحدرة . انتهى . فالمشرقان
والمغربان للشمس . وقيل : المشرقان : مطلع الفجر ومطلع الشمس ، والمغربان مغرب الشفق
ومغرب الشمس . ولسهل المستري كلام في المشرقين والمغربين شبيه بكلام الباطنية المحرفين
مدلول كلامه ، ضربنا عن ذكره صفحاً . وكذلك ما وقفنا عليه من كلام الغلاة الذين ينسبون
للسوفية ، لأننا لا نستحل نقل شيء منه . وقد أولغ صاحب كتاب التحرير والتحرير بحسب ما
قاله هؤلاء الغلاة في كل آية آية ، ويسمي ذلك الحقائق ، وأرباب القلوب وما ادعوا فهمه في
القرآن فأغلوا فيه ، لم يفهمه عربي قط ، ولا أراداه الله تعالى بتلك الألفاظ ، نعوذ بالله من
ذلك . .

مرج البحرين : تقدم الكلام على ذلك في الفرقان . قال ابن عطية : وذكر الثعلبي في مرج
البحرين ألبازاً وأقوالاً باطنة لا يلتفت إلى شيء منها . انتهى ، والظاهر التقاؤهما ، أي
يتجاوزان ، فلا فصل بين الماءين في رؤية العين . وقيل : يلتقيان في كل سنة مرة . وقيل :
معدان للالتقاء ، فحقهما أن يلتقيا لولا البرزخ بينهما . { بَرَزَخُ } : أي حاز من قدرة
الله تعالى ، { لَّا يَدْغِيَانِ } : لا يتجاوزان أحدهما ، ولا يبغي أحدهما على الآخر
بالممارسة . وقيل : البرزخ : أجرام الأرض ، قاله قتادة ؛ وقيل : لا يبغيان : أي على
الناس والعمران ، وعلى هذا والذي قبله يكون من البغي . وقيل : هو من بغى ، أي طلب ،
فالمعنى : لا يبغيان حالاً غير الحال التي خلقا عليها